غسان وحسان وما بينهما

بقلم: احمد الصراف

يملك غسان طليبان محلا لبيع العقارات في منطقة تجارية، ويقع محل صديق عمره حسان ملاميان بجانبه، وبالرغم من تشابه مجال عمليهما وما يفرضه ذلك من تنافس بينهما الا انهما بقيا صديقين حميمين لسنوات طوال، ويعود الفضل في ذلك الى ان الاشياء التي تجمعهما من جيرة ومصاهرة وهوايات كانت أكبر واعمق من تلك التي تفرقهما بسبب التشابه في طبيعة عمليهما.

كان واضحا لكل من عرف الصديقين الفرق الكبير بين دخليهما، بالرغم من حقيقة انهما يقومان باستقبال العدد نفسه تقريبا من العملاء شهريا ويتقاضيان اتعابا مماثلة عن كل معاملة يقومان بانهائها بنجاح. كان غسان دائما صاحب الدخل الاعلى بكثير مقارنة بدخل صديقه حسان، وكان يعيش في مستوى معيشي افضل، وبفضل دخله الكبير نجح في ان يرسل ابناءه للدراسة في احسن وارقى المدارس الاجنبية بالرغم من ميله الشديد للتمسك باصالته المحلية.

كان غسان يدير مكتبه بمساعدة ابنه الاكبر، وكان صديقه حسان يقوم بعمل الشيء نفسه، وقد ورث الاثنان مكتبيهما من والديهما وقد علم غسان ابنه اسرار واصول المهنة كما سمعها وتعلمها من والده، وكان الاثنان يفتخران بما ورثاه عن والديهما من مبادىء ومثل تتعلق باخلاقيات العمل وطريقة انجازه. بالرغم من كل تلك الاشياء المشتركة الا ان الحقيقة بقيت صعبة الانكار، حيث ان غسان كان اكثر نجاحا ودخلا بالتالي من صاحبه بكثير وقد كان هذا الوضع هو الذي كان ساريا ايام والديهما، وكانا يعلمان بان الحال سيستمر كذلك بعد ان يستلم الاحفاد المهنة من بعدهما!!

نقطة الاختلاف الوحيدة بين الطرفين، كما كان الحال دائما، كانت تكمن في طريقة اداء العمل، فبينما يعمل غسان في جو خال من القيود والتعقيدات والمطالب، وهذا ترك له هامشا كبيرا للحركة وسمح له بالتالي بتخصيص وقت اكثر لانجاز العمل المطلوب انجازه، فبينما كان الحال كذلك مع غسان كان الامر مختلفا كليا مع حسان الذي تربى على فلسفة صارمة ورثها بحذافيرها من والده والذي اخذها بدوره من جده وهكذا، ومن متطلبات تلك الفلسفة اتباع مجموعة من القواعد والتعليمات منذ لحظة فتح الشركة لابوابها في الصباح وحتى يخلد كل طرف للنوم، فهناك تعليمات مكتوبة ومنمطة معممة على الجميع تبين لكل شخص كيفية فتح ابواب الشركة وساعات العمل والدقيقة التي تسدل فيها الستائر وموقع كل موظف وطريقة لبسه ونوع وطراز ملابسه وعدد الدقائق المسموح لكل فرد فيها بالتحدث مع الاخرين هاتفيا، وما يجب ان يفعله كل موظف عندما يدخل عميد الشركة الى مكاتبها وطريقة تحيته والكلمات المطلوب قولها في السلام عليه، مع وضع قواعد صارمة تلزم كل شخص من السيد عسان مرورا بالآخرين بالغرامات او الجزاءات التي ستفرض في حال ما لم يتم الالتزام باي من هذه القواعد والانظمة لاي سبب كان، وقد ادى كل ذلك الى انشغال الجميع بهذه التعليمات والنظم الشكلية مخافة تطبيق بند الغرامات عليهم، ولم يتبق لهم غير القليل من الوقت لانجاز العمل الحقيقي بسبب انشغالهم الشديد بالتوافه من الامور، وقد ادى ذلك الى قلة في الانتاجية وانخفاض في الربحية!!.